في فلسطين. وهي حالة ينتظر ان يكون لها انعكاسات مستقبلية ذات شأن على مسار القضية الفلسطينية. انطلاقاً من هذه المستجدات، يمكن النظر الى ما تتبنّاه القوى الفلسطينية الفاعلة داخل الارض المحتلة، وخارجها، من حوار مع كل القوى الاسرائيلية التي تبدي تفهّماً للحقوق الفلسطينية، بأمل ان يسهم هذا السلوك في تعميق حالة الاستقطاب الاسرائيلية. وتجدر الاشارة الى ان بعض من يعتقدون بجدوى المقاومة المدنية في مواجهة الاحتلال الاسرائيلي رأوا، قبيل اندلاع الانتفاضة، ان «عقيدة الشعب المختار يمكن استغلالها للدخول في حوار اخلاقي مع اليهود، من منطلق ان مثل هذه العقيدة، بغض النظر عن صحّتها أو عدم صحّتها، من المفترض ان تؤدي الى تحلّي اليهود بأخلاق سامية رفيعة. هذا بالاضافة الى ان الخوف اليهودي الموروث من خطر الابادة قد يجعلهم أكثر حساسية لادانتهم باستخدام العنف ضد العزّل...»[٤٨]. ولا شك في ان هذا الاعتقاد قد تعرّض لمحنة شديدة، بالنظر الى ممارسات سلطات الاحتلال الاسرائيلية تجاه المنتفضين؛ اذ لم تتخل السلطات هذه عن منهجها التقليدي في العنف ضد الشعب الفلسطيني.

امّا بشأن ان المقاومة المدنية تقدّم ذريعة لطرد الفلسطينيين، فلا شك انها تضع الشعب الفلسطيني امام خيار مرّ. فاذا كان العنف يقدّم ذريعة لطرد الفلسطينيين، والمقاومة المدنية تؤدي الى الشيء ذاته، فكيف يتمّ، اذاً، التعبير عن رفض الاحتلال ومقاومته بخلاف انتظار المصير المجهول الذي تصنعه الحقائق التي تخلقها سلطات الاحتلال بمرور الوقت؟ سؤال يحتاج الى اجابة.

٨ ـ بنية المجتمع الفلسطيني

جوهر هذه الحجة ان بنية المجتمع الفلسطيني لا تلائم انماط المقاومة المدنية واسعة النطاق. وفي هذا الشأن، رأى البعض ان الفلسطينيين منقسمون اجتماعياً الى درجة لا يمكن معها تنظيم هذه المقاومة التي تتطلب التعاون بين شرائح المجتمع والحركة الجماعية؛ وان هذا المجتمع يشهد انقسامات عميقة بين الاغنياء والفقراء، وبين الريف والحضر، وبين العمّال والفلاحين، وبين الرجال والنساء؛ كما ان القوة الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، تحتكرها جماعة محدودة من الاسر والقبائل، وهذا لا يفرز سوى قيادة تقليدية. هذه الاوضاع جميعها تمثّل مجموعة من العوائق وتدعو الى تقاعس الجماهير واحجامها عن المشاركة في الكفاح السياسي.

وأغلب الظن ان الانتفاضة، بما أفصحت عنه من ثقافة وسلوك ومشاركة اجتماعية، وبما أفرزته من قيادة شابة جديدة وازاحته من قيادات تقليدية، وبما أطاحت به من مفاهيم موروثة عن دور المرأة ودونيتها وتقدّم دور الرجل، وبما عبّرت عنه من ثقة بالذات وقدرة على التحمّل؛ ان الانتفاضة، بكل هذا، جعلت حيثيات الحجة المذكورة غير ذات معنى. لقد ثبت ان بنية المجتمع الفلسطيني تصلح تماماً لولوج انماط المقاومة المدنية؛ وان الثقافة الفلسطينية تحمل مضامين ايجابية تماماً، كالتعاون والايثار والعطاء اللامحدود. وأثبتت، أيضاً، ان نموذج الاحتلال الاسرائيلي هو نموذج خائب، حين أمكن لابناء الارض المحتلة هدم معظم ما بناه، خلال أكثر من عشرين عاماً، من قيم غير اصيلة ومفاهيم غريبة واردة، وذلك في شهور معدودة. وممّا يلاحظ، في هذا الجانب، ان سلطات الاحتلال لم تنجح في جرّ أية شريحة اجتماعية بكاملها الى صالحها، او لتكون لسان حالها بين ظهراني المجتمع الفلسطيني الاصيل، ذلك ان الاحتلال قد طاول بضرره كل طبقات هذا المجتمع على وجه العموم. وفي مناخ الانتفاضة، تأكدت خيبة سلطات الاحتلال، عندما فشلت في محاولاتها خلق انقسامات فلسطينية ـ فلسطينية على أساس ديني (بين المسلمين والمسيحيين)، أو سياسي (بين حركة